وجملة (وما ظلمهم ا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) معترضة بين جملة (كذلك فعل الذين من قبلهم) وجملة (فأصابهم سيئات ما عملوا) .

ووجه هذا الاعتراض أن التعرض إلى ما فعله الذين من قبلهم يشير إلى ما كان من عاقبتهم وهو استئصالهم فعقب بقوله تعالى (وما ظلمهم ا) أي فيما أصابهم .

ولما كان هذا الاعتراض مشتملا على أنهم ظلموا أنفسهم صار تفريع (فأصابهم سيئات ما عملوا) عليه أو على ما قبله . وهو أسلوب من نظم الكلام عزيز . وتقدير أصله : كذلك فعل الذين من قبلهم وظلموا أنفسهم فأصابهم سيئات ما عملوا وما ظلمهم ا . ففي تغيير الأسلوب المتعارف تشويق إلى الخبر وتهويل له بأنه ظلم أنفسهم وأن ا لم يظلمهم فيترقب السامع خبرا مفظعا وهو (فأصابهم سيئات ما عملوا) .

وإصابة السيئات إما بتقدير مضاف أي أصابهم جزاؤها أو جعلت أعمالهم السيئة كأنها هي التي أصابتهم لأنها سبب ما أصابهم فهو مجاز عقلي .

وحاق : أحاط . والحيق : الإحاطة . ثم خص الاستعمال الحيق بالإحاطة الشر . وقد تقدم الكلام على ذلك عند قوله تعالى (فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون) في أوائل سورة الأنعام .

و (ما) موصولة ما صدقها العذاب المتوعدون به . والباء في (به) للسببية . وهو ظرف مستقر هو صفة لمفعول مطلق . والتقدير : الذي يستهزئون استهزاء بسببه أي بسبب تكذيبهم وقوعه . وهذا استعمال في مثله . وقد تكرر في القرآن من ذلك ما في سورة الأحقاف وليست الباء لتعدية فعل (يستهزئون) . وقدم المجرور على عامل موصوفه للرعاية على الفاصلة .

(وقال الذين أشركوا لو شاء ا ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين [35]) عطف قصة على قصة لحكاية حال من أحوال شبهاتهم ومكابرتهم وباب من أبواب تكذيبهم .

وذلك أنهم كانوا يحاولون إفحام الرسول A بأنه يقول : إن ا يعلم ما يسرون وما يعلنون وإنه القادر عليهم وعلى آلهتهم وإنه لا يرضى بان يعبد ما سواه وإنه ينهاهم عن البحيرة والسائبة ونحوهما فحسبوا أنهم خصموا النبي A وحاجوه فقالوا له : لو شاء ا أن لا تعبد أصناما لما أقدرنا على عبادتها ولو شار أن لا نحرم ما حرمنا من نحو البحيرة والسائبة لما أقرنا على تحريم ذلك . وذلك قصد إفحام وتكذيب .

وهذا رده ا عليهم بتنظير أعمالهم بأعمال الأمم الذين أهلكهم ا فلو كان ا يرضى بما

علموه لما عاقبهم بالاستئصال فكانت عاقبتهم نزول العذاب بقوله تعالى (كذلك فعل الذين من قبلهم) ثم بقطع المحاجة بقوله تعالى (فهل على الرسل إلا البلاغ المبين) أي وليس من شأن الرسل " عليهم السلام " المناظرة مع الأمة .

وقال في سورة الأنعام (سيقول الذين أشركوا لو شاء ا ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين قبلهم حتى ذاقوا بأسنا) فسمى قولهم هذا تكذيبا كتكذيب الذين من قبلهم لأن المقصود منه التكذيب وتعضيد تكذيبهم بحجة أساءوا الفهم فيها فهم يحسبون أن ا يتولى تحريك الناس لأعمالهم كما يحرك صاحب خيال الظل ومحرك اللعب أشباحه وتماثيله وذلك جهل منهم بالفرق بين تكوين المخلوقات وبين ما يكسبونه بأنفسهم . وبالفرق بين أمر التكذيب وأمر التكليف وتخليط بين الرضى والإرادة ولولا هذا التخليط لكان قولهم إيمانا . فعل هؤلاء كفعل أي أنفسهم تلقاء من أشياء وتحريم الإشراك إلى (كذلك) ب والإشارة A E الذين من قبلهم وهم المذكورون فيما تقدم بقوله تعالى (قد مكر الذين من قبلهم) وبقوله (كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم ا) . والمقصود : أنهم فعلوا كفعلهم فكانت عاقبتهم ما علمتم فلو كان فعلهم مرضيا لما أهلكهم فهلا استدلوا بهلاكهم على أن ا غير راض بفعلهم فإن دلالة الانتقام أظهر من دلالة الإملاء لأن دلالة الانتقام وجودية ودلالة الإمهال عدمية .

وضمير (نحن) تأكيد للضمير المتصل في (عبدنا) . وحصل به تصحيح العطف على ضمير الرفع المتصل . وإعادة حرف النفي في قوله تعالى (ولا آباؤنا) لتأكيد (ما) النافية